توظيف الحكاية الشعبية في الشعر العربي المعاصر

Employing the folk tale in contemporary Arabic poetry

مهدان نسيمة *

جامعةالجيلالي بونعامة، خميس مليانةMehaddenenassima86@gmail.com

مهدان ليلى

جامعةالجيلالي بونعامة، خميس مليانة

mehaddeneleila@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/06/02 تاريخ النشر: 2021/06/20

الملخص :

لطالما كانت هنالك علاقة وطيدة تربط التراث الشعبي بشعر والشعراء خصوصا جنس الحكاية الشعبية ، والتي اعتبرت متنفسا لطيفا عبر به الشاعر عن ما يختلج نفسه وعقله ، فمن خلالها استطاع تحوير ما يعايشه إلى نصوص ثقافية ساعدتنا على رصد وتتبع الخطوات الأولى التي قامت بها وعليها جل الحضارات السابقة ، كما استند عليها الشعراء من أجل تقديم حكمة معينة بلغة شعرية بسيطة .

الكلمات المفاتيح : التراث الشعبي – الشعر المعاصر - السرد - الحكاية الشعبية .

Summary :

There has always been a close relationship linking the folklore to poetry and poets , especially the genus of the folk tale , which was considered a pleasant outlet in which the poet expressed what excites himself and his mind , through which he was able to transform what he lived in into cultural texts that helped us monitor and follow the first steps that they took and upon which most previous civilizations the poets also relied on it in order to present a certain wisdom in a simple poetic language .

Key Words : folklore – contemporary poetry – Narration – The folk tale .

تراث الأمة العربية الإسلامية لا يقف عند بوابة التاريخ الإسلامي ، وإنما تمتد جذوره وأصوله إلى أعماق الماضي الذي يستمد منه أبرز خصائصه وتقاليده وأعرافه ، ويتصل مفهوم التراث الشعبي وبالدرجة الأولى بالإنجاز الثقافي العام

المؤلف المرسل*

للشعب وهو النقطة الأساسية التي لا خلاف فيها وتعتبر عنصرا أساسيا في تشكيل الهوية العامة للثقافة التي ينتمي إليها من عادات وحكايات وأمثال شعبية ، ورقص وغناء شعبي بحيث استطاعت الذاكرة أن تعبر عن ملامحها من خلال هذه الألوان الأدبية الشعبية السائدة في هذا الوسط الشعبي بل وتعبيرا أصيلا عما يحققه الفرد الشعبي من رقي وازدهار ، فالتراث الشعبي هو " المنقول بشكل رئيسي عن طريق الكلمة أو المثال أو المحاكاة ... إنه ذلك الذي ينشأ بين الناس وينتقل بينهم بشكل غير رسمي وينتقل تلقائيا أو عن وعي ويقبله الناس دون تحقق ويعيدون صياغته بين حين وآخر ويطورونه ليناسب حاجاتهم وهو يمتد ليشمل ")مرسيأ،2001 ،صفحة(70
كل شيء العادات والتقاليد والأزياء والطقوس المختلفة في المناسبات ... بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقاتهم اليومية ... بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد مع أنفسهم ")حلمي،2002 ،صفحة(13 .

استطاع الناس أن يعبروا عن حاجاتهم ومتطلباتهم سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية عن طريق الأمثال أو الحكايات أو الأغنية في قالب رمزي " فالأشكال الأدبية يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا جوهريا وان كانت صفة الشعبية تجمع بينها ويرجع سبب الاختلاف أن كلا منها ينبع من مجال محدد من مجالات الاهتمام الروحي الشعبي وهذا المجال هو الذي يحدد شكل كل نوع ووسيلة التعبير فيه ")ابراهيم،1981 ،صفحة(04 ، هذا التعبير يكون عن طريق الوسائل التي يعتمدها الأديب الشعبي في مهارة نتاجه الأدبي فالأغنية مثلا تختلف عن الحكاية الشعبية لاعتمادها على رخم موسيقى عذب واعتمادها على لغة مهموسة خفيفة أما ما يربطهما هو تعبيرهما عن نفسية الانسان الشعبي وطموحاته التي تكون عن طريق أشكال أدبية شعبية بالدرجة الأولى .

هذا ما دفع بالشاعر العربي المعاصر إلى الارتباط بهذا اللون الأدبي لما يزخر به من جماليات فنية ومهارات راقية تتوسع بها دروس القصيدة من مناحي عديدة كاللغة والتي تتخذ منحى فني وشعبي ، فقربت ذهنية القارئ المعاصر إلى العالم الشعري الشعبي وقد عرفه عبد الحميد بورايو قائلا : " هو مجموع الرموز وأشكال التعبير الفنية والجمالية والمعتقدات والتصورات والقيم والمعايير والتقنيات والأعراف والتقاليد والأنماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال ويستمر

وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة واستمرار وظائفها القديمة أو اسناد وظائف جديدة لها ")وآخرون،2006 ،صفحة(09 .

يشير الباحث في الدراسات الشعبية (فاروق خورشيد) إلى أن التراث الشعبي هو " الحصيلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية لأبناء المنطقة كلها عبر التاريخ ")خورشيد،1992 ،صفحة(23 ، ويرى أن الموروث الشعبي والتراث الشعبي وجهين لعملة واحدة ، وعرف التراث كذلك على أنه " مصطلح يضم الفولكلور والميثولوجيا العربية ويضم أيضا الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي أو العطاء الجمعي لأدباء الشعب العربي في مسيرته الحضارية من القديم إلى اليوم ")خورشيد،1992 ،صفحة(12 .

فالتراث الشعبي أو الفولكلور جزء من كيان الأمة وثقافتها وهو من الظواهر المهمة التي شاعت في الشعر العربي المعاصر حتى أصبحت سمة بارزة من سماته إذ وجد فيها الشعراء ضالتهم للتعبير عما يجول في خاطرهم وكيانهم عن طريق المثل أو الأغنية أو الحكاية ، فشاعر المعاصر حين يلجأ إليه يحس بأنه استطاع التغلب على أحزان الماضي و فهم الحاضر .... فالتراث بنسبة له عبارة عن جسر ممتد ينتقل من خلاله عبر مختلف العصور.

1- الشعر المعاصر والحكاية الشعبية :

إن السرد هو الطريقة التي " يختارها المبدع أو الروائي ليقدم بها الحدث أو أحداث المتن الحكائي ولسرد أشكال كثيرة تقليدية كالحكاية عن الماضي والتي تتم بضمير الغائب كما هو الحال مع رائعة الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والمقامات بوجه عام ، وجديدة تصطنع ضمير المخاطب أو ضمير المتكلم أو استخدام أشكال أخرى كالمناجاة الذاتية والاستباق والارتداد)بعيطش،صفحة(06 .

ويقوم الحكي عامة على دعامتين أساسيتين هما :

- أن يحتوي على قصة ما تضم أحداثا معينة
- أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة وتسمى هذه الطريقة سردا

فالسرد علم يبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راو ومروي له ، أي أنها العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة ، إذن فالسرد هو عرض حدث أو سلسلة أحداث متتابعة أو أخبار واقعية أو خيالية بواسطة اللغة وكل سرد يشترط حدثا وشخصيات تنشط ضمن زمان ومكان معينين وبواسطة سارد ينقل كل ذلك إلى السامع أو القارئ .

أما عن مكونات السرد فنقصد بها الأركان الأساسية التي لا يكون السرد من دونها ويمكن أن نتناوب على تسميتها حسب هذه الترسيمات :

- الراوي – المروي – المروي له
- السارد – المسرود – المسرود له
- المرسل – الرسالة – المرسل إليه)شكيب،2013 ،صفحة(03 .

الراوي : هو ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة ولا يشترط أن يكون اسما متعينا فقد يتراوى خلف صوت أو ضمير يصوغ بواسطة المروي لما فيه من أحداث ووقائع.

المروي : المروي أو المسرود يكون دائما ضمن وعي مسبق لدى المؤلف ثم يختار السارد الأسلوب الأمثل بعرضه رسالة لغوية)شكيب،2013 ،صفحة(12 .

المروي له : قد يكون المروي له كما يقول الدكتور عبد الله إبراهيم في كتابه السردية اسما معينا ضمن البنية السردية وقد يكون كذلك الأمر شخصية من ورق كالراوي وقد يكون كائنا مجهولا أو متخيلا)عبداللهابراهيم،صفحة(15 .

ومن أشهر الحكايات التي تغنى بها الشعراء المعاصرون نذكر :

2- قصة ألف ليلة وليلة : لكل أمة من الأمم موروثها الحكائي الذي يتألف من عدد كبير من الحكايات ذات مواضيع وأغراض متنوعة وقد عرف العرب في العصر العباسي أحسن القصص منها الشعبية الشهيرة بالإضافة الى قصص لليالي وهي أصيلة فكتاب كليلة ودمنة يتكون من مجموعة أساطير وحكايات خرافية يتلاقى فيها التتابع والتجزؤ)جورجي،صفحة(522 ، وقد أطلقت عليه هذه التسمية بعد جمع حكايات كثيرة تدل مضامينها وشخصياتها وعقلية أناسها وجغرافية حوادثها وأساليبها على أنه ليس للكتاب مؤلف واحد فقد تمت صناعته عبر أزمنة ومراحل مختلفة ومتباعدة)جورجي،صفحة(75 ، وللكتاب أصول عديدة منها اليوناني والهندي والفارسي الى جانب العربي وفيه قصص كثيرة طابعها عربي تاريخي وجغرافي واجتماعي فمنها ما تقع حوادثه في مصر وبغداد وغالبا في قصر الخليفة هارون الرشيد .

فهذا الكتاب حكاياته متتابعة مجزأة بحيث يقرأ كل جزء منها في ليلة أو في سهرة وبعد من الكتب التي " تحوي مجموعة من الحكايات وأسمار مختلفة الموضوعات والأساليب والأغراض ولا تتجاوز حكاياته 264 حكاية وقد أريد بعد الألف التكثير لا لتحديد " ، وسبب تسمية هذا الكتاب ب : أزهلكين شقيقين

هما (شهريار وشامخان) كانا سعيدين في حياتهما عادلين في مملكتيهما لكن هذه السعادة لم تدم بعد أن اكتشف شهريار تلك العلاقة التي أقامتها زوجته مع رجل من عبيده فقرر أن يقتلها وينتقم من جنس النساء فقرر أن يتزوج كل يوم من عذراء يقضي معها ليلة واحدة ثم يقتلها قبل أن يطلع عليها صباح يوم الغد فخاف الناس على بناتهم وفروا ولم يستمر الأمر الى أن بعث الله عز وجل لهذا الملك ابنة وزير تدعى شهرزاد الى أن تزوج بها وبدأت قصة الليالي كل يوم تقص عليه حكاية بأسلوب مثير وتنتهي القصة معلقة الى ليلة أخرى)فروريشويرلان،صفحة(20 .

3- قصص كليلة ودمنة : لعل أقدم الآداب الشرقية في فن القصة والخرافة الأدب الهندي فعندما ظهر كتاب (كليلة ودمنه) وأصله عند الهند : كتاب (ببح تانترا) جمع حكايات أدبية طريفة ذات أهداف تعليمية وواقعية مطبوعة بالطابع الفني والحكمي والفلسفي معروفة لدى الهنود منذ قديم الزمان.

وهذه القصص الرمزية تحكي تجارب أمة ذات حضارة كتبت من قبل جماعة من الأدباء والهنود كتاب كليلة ودمنة " ترك بصمات على الكثير من الاعمال الأدبية العالمية وكانت النسخة العربية التي ترجمها ابن المقفع (ت 142 ه /759 ه) مسار دراسات وأخذ ورد والمعروف أن النص العربي للكتاب قد ترجم الى السريانية الحديثة والانجليزية والفارسية الأولى أما الترجمات الأخرى الأوروبية فأكثرها مترجم من لغات وسيطة مأخوذة من النص العربي مباشرة ويقال في أصل ذلك الكتاب : " ان العالم الفارسي (برزويه) كان مولعا بالحكمة والعلم وكان مقربا من (كسرى أنو شروان) فقرأ في كتاب الهنود أن لديهم نباتا ينثر على الميت فيتكلم في الحال فارتحل الى الهند بتشجيع من كسرى وظل يبحث (كليلة ودمنة).

وتعد قصص كليلة ودمنة حكمة في ثوب خرافة ينطوي على حكايات وأقاصيص على ألسنة الطير والبهائم التي تمثل الحياة البشرية في نواحيها المختلفة لما نجده فيها من النزاعات والأهواء والتيارات الفكرية ما نجده بين البشر .... الأخيار والأشرار هكذا نجد صورة عنهم في الشخصيات البهيمية التي يجعلها ابن المقفع أبطالا لأمثال الخرافية)بيدبا،2006 ،صفحة(09 .

ويدور الكتاب حول قصص يرويها الفيلسوف (بيدبا) الملك (دبشليم) واطلع (ابن المقفع) على النسخة الفارسية وكان لها اثر بالغ في نفسه وتفكيره وثقافته وكانت الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالفيلسوف الهندي (بيدبا) في

علاقته بالملك (ديبشليم) تشابه ما كان فيه (ابن المقفع) مع الخليفة المنصور الذي كان بحاجة الى النصح الغير مباشر لما عرف عنه من قوة البأس والبطش بكل ما يخرج عن طاعته لذا اتسمت ترجمة ابن المقفع للكتاب بخصوصية ظرفها الزماني والمكاني ، فأضاف بعض القصص وعدل بعضها) ، فالدارسون اختلفوا في أصل الكتاب فمنهم من قال :

- من وضع ابن المقفع نفسه
- مترجم بشهادة مترجمه بنفسه ثم شهادة التاريخ ثم بشهادة الأصول الهندية
- أصله فارسي وترجمه ابن المقفع الى العربية
- أصله هندي ترجم إلى الفارسية ثم من الفارسية إلى العربية .

ولعل عودة الشاعر المعاصر إلى الحكاية الشعبية ليس من باب العزوف عن عالم اللغة المعاصرة وعوالمها التعبيرية ، وإنما هو من جهة الاقتراب من ذلك التلوين الفني الذي يجرى في واقع تاريخي فعلي وبطابع جدي في تراثنا العربي ، فقد اتخذ الشاعر المعاصر جملة من الصيغ التعبيرية من رموز الحكاية الشعبية وهذا ما نجده عند عبد **الوهاب البياتي** فالحكاية الشعبية هي " وصف لواقعة خيالية أو شبه واقعية أو حقيقية أبدعها الشعب في ظروف حياته وسجلها في ذاكرته ورواه أفراده لبعضهم البعض بمرور الأيام وتوارثوها فيما بينهم مشافهة من أجل المتعة والتسلية ")سعيدي،1998 ،صفحة(58 ، فالحكاية الشعبية تأخذ لغة في بدايتها شيء من المرونة والسهولة والبساطة ما يجعلها سهلة ومتداولة ومحببة الى النفوس وهذا ما التمسناه فيما استخدمه البياتي في بداية المقطع الشعري " كان يا ما كان " فهي توحي بالبعد الزمني إذ أن " كان " تعني المضي الزمني للفعل في الحكاية الشعبية كما توحي أيضا على ما قد جرى في العصور القديمة لذا استخدمها الشاعر المعاصر ليدل من خلالها على أسطورية الأحداث التي جرت ، كذلك استخدمها الشاعر المعاصر ليولد منها فعلا وايقاعا شعبيا نحو قوله بعد افتتاحية كان يا ما كان :

- يداعب الأوتار ، يمشي فوق حد السيف والدخان
- يرقص فوق الجبل ، يأكل الزجاج ، ينثني
- مغنيا سكران .

هذه الحركات التي استخدمها الشاعر حركات المهرج تذكرنا بتلك الأجواء الشعبية في حكايات ألف ليلة وليلة والتي كانت نموذجا حيا للحكاية الشعبية في تراثنا فهي تمثل بؤرة السرد الشعبي العربي ، إن هذا الموروث " تشكل من مجموعة أساطير وحكايات يتلاقى فيها التتابع والتجزؤ أثرته الذاكرة الشعبية العربية عبر العصور المختلفة والمرجع أنه ليس له مؤلف محدد ")عروة،صفحة 133).

كما نجد الشاعر يروي عن طريق الشعر نسقا شعبيا آخر كقوله :

- رويت ما رأيت
- رأيت ما رويت
- كان و يا ما كان

فهذه النغمة الإيقاعية وظفها الشاعر لما لها من بعد ايقاعي في الحكاية الشعبية .

وخلاصة القول أن الشعر هو ذاكرة الشعب التي تختزن همومه وأشواقه وهو الصورة الحقيقية لواقع المعيشة يصاحبه في أفراحه فيعبر به عن النشوة العارمة التي تهزه وهو يأخذ من حياته نصيبا من البهجة ويواكبه في صراعاته اليومية وهذا ما لمسناه مع شعرائنا المعاصرون عامة من خلال استغلالهم فنية التراث الشعبي من أغاني وأمثال وحكايات خدمة لمصالحهم التي أملتها عليه تجاربهم المعاصرة .

قائمة المصادر والمراجع :

أحمدعليمرسي .(2001) . *مقدمةفيالفلكلور*.القاهرة،مصر : عينللدراساتوالبحوثالاجتماعيةوالانسانية.

أحمدعليمرسي .(2001) .*مقدمةفيالفلكلور*.مصر :عينللدراساتوالبحوثالانسانيةوالاجتماعية.

أحمدعليمرسي) .بلاتاريخ .(*مناهجالنقد*.

بيدبا .(2006) .*قصصكليلةودمنة*) .عبداللهبنالمقفع،المترجمون (بيروت،لبنان : دارالجيللنشروالطبعوالتوزيع.

زيدانجورجي) . بلاتاريخ .(*تاريخآدابااللغة*.

سحرشكيب .(2013) .*البنيةالسرديةوالخطابالسرديفيالرواية*.مجلةدراساتفياللغةالعربية.

عبدالحميدبورايووآخرون .(2006) .*الموروثالشعبيوقضاياالوطن*.الوادي،الجزائر : منشوراترابطةالفكروالابداع.

المؤلف المرسل*

عبداللهابراهيم) . بلاتاريخ .(*السرديةالعربية*.
عمرعروة) . بلاتاريخ .(*النثرالفنيالقديم*.الجزائر : دارالقصبةللنشر.
فاروقخورشيد .(1992) . *الموروثالشعبي*.القاهرة :دارالشروق.
فروريشويرلان) .بلاتاريخ .(*الحكايةالخرافية*.بيروت،لبنان : دارالقلم.
محمدسعيدي .(1998) . *الأدبالشعبيبينالنظريةوالتطبيق*.الجزائر : ديوانالمطبوعاتالجامعية.
نبيلةابراهيم .(1981) . *أشكالالتعبيرفيالأدبالشعبي*.القاهرة،مصر : دارالمعارف.
نذيرحلمي .(2002) . *أثرالتراثالشعبيفيالأدبالحديث*.القاهرة :دارالوفاءلدنياالطباعةوالنشر.
يحيبعيط) بلاتاريخ .(
خصائصالفعلالسرديفيالروايةالعربيةالجديدة.بسكرة،جامعةمحمدخيضر،الجزائر :
مجلةكليةالآداب.